

التفكير البلاغي الجديد عند عبد المالك مرتاض :دراسة في المفهوم و المنهج
New rhetorical thought of Abd al –Malik Murtadh critical discourse: A
conceptual and methodological study



ط.د كليخات إكرام*

مخبر تحليليات إحصائية في العلوم الإنسانية و إعداد معجم موحد لها على مقاييس علمية

جامعة تلمسان ، الجزائر

ikram.klikhat@univ-tlemcen.dz

د. دشميسة بن مداح

مخبر EsptLAB، جامعة تلمسان ،الجزائر

soumicha.benmeddah@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2026/02/03 تاريخ القبول 2026/05/28 تاريخ النشر 2026/06/08



ملخص: تروم هذه الدراسة البحثية إبراز ملامح الفكر البلاغي الجديد عند عبد المالك مرتاض، انطلاقا من رصد حضور التراث في المجال السيميائي وصولا لإستقراء الأسس النظرية و التطبيقية التي نهضت عليها مقاربات الناقد و وعيه الذي زواج بين القديم و الحديث وفق رؤية توسعية تفتح المجال لخوض غمار النص على ضوء ما يمليه الفكر النقدي الجديد والتحديث المنهجي السابح في فضاءات الحداثة. الكلمات المفتاحية: عبد المالك مرتاض؛ التراث البلاغي؛ الفكر البلاغي الجديد؛ المفهوم؛ المنهج النقدي.

Abstract:

This research study aims to highlight the features of the new rhetorical to the exploration of the theoretical and applied foundations thought in the work of Abdel malek Mortadh starting from tracing the presence of

* المؤلف المراسل

heritage within the semiotic field and extending underlying his approaches which combine the classical and the modern in light of the principles of contemporary critical thinking

key words Abdelmalek Mortad; Rhetorical Heritage; NewRhetorical Thought; Concept; Critical Method

مقدمة:

شهدت البلاغة العربية منذ القرون الأولى، منعرجاً هاماً تمثل في ارتكازها على أسس عدة بنت عليها قاعدة الدرس البلاغي في حلته الأولى، فقد اتخذت من البيان، و البديع، حلقة مهمة لتشكيل نواتها التقليدية التي سادت ردهاً من الزمن. فالبلاغة لم تحدث تلك القطيعة مع العلوم الأخرى بل كانت نقطة هامة في مسار العديد من العلوم الأخرى، لاسيما و أن العرب قديماً كانت تولي أهمية بالغة لفصاحة اللسان وقدرة على إزعان النفس في تلقيها الخطاب، و ظلت البلاغة العربية على هذا النهج تراعي الزخرفة اللفظية و مقتضى الحال، إلا أن ساحة الأدب و نقده تفرض التغيرات و تتجدد بالاستمرار وهذا ما أجبر البلاغة أن تخرج من رداءها التقليدي كنوع من الاستجابة لافرازات العصر الحديث ومستجداته مما ساهم في بلورة التفكير النقدي، سمي بالبلاغة الجديدة بحيث لفتت الأنظار حولها و تهافت عليها الباحثون من كل صوب، ولعل أبرزهم الناقد عبد الملك مرتاض الذي علا كعبه و ذاع صيته في مسيرته للبلاغة التقليدية، إذ ارتقى في أحضان البلاغة الجديدة مشكلاً وعياً جديداً هز الكيان البلاغي، فالبلاغة الجديدة عند عبد المالك مرتاض هي بلاغة تسير نهجاً جديداً يفتح أطراً و آفاقاً جديدة لتحليل النص و فك شفرته.

الإشكالية: جاءت الدراسة لتطرح السؤال الجوهرى الآتي: كيف كانت تصورات الناقد عبد المالك مرتاض للبلاغة الجديدة؟ وما الأسس المنهجية التي بنى عليها مشروعه في تجديد البلاغة العربية؟

و قد مثلت الدراسات السابقة مرجعا مهما لفهم السياق العلمي للموضوع من بينها: عبد المالك مرتاض. (العدد 11 ، 2011). الرواية جنسا أدبيا. مجلة الأقاليم. بحث يشير البحث إلى إظهار التصور الذي طرحه عبد المالك مرتاض اتجاه جنس الرواية و هي فاتحة رؤيته للأجناس الأدبية.

مقدم مولاي. (المجلد الخامس ، العدد الأول). آليات التحليل النقدي عند عبد المالك مرتاض. مجلة اللغة العربية وآدابها . و قد كان التركيز متجها نحو الجانب التحليلي الذي تميز به الناقد .مراعاة حال المتكلم في الدرس البلاغي أرميض مطر حمد و آخرون. **منهج الدراسة :** أما بخصوص منهج الدراسة ، فكان لزاما علينا أن نستعين بالمنهج التحليلي؛ نظرا لطبيعة الموضوع ، الذي لا بد له من نظرة تحليلية ثاقبة تطوف حول ثناياه.

أهداف الدراسة : كما تتمثل أهداف هذه الدراسة من خلال ما يلي :

- . إعادة فك شيفرة البلاغة العربية في بلورة التفكير الجديد
- . بيان الطريقة التي انتهجها عبد المالك مرتاض في إظهار بصمته العربية في مقابل المد الغربي
- . فتح الآفاق نحو دمج التراث و الحداثة كوسيلة هامة لتطوير الآليات التحليلية للنصوص.

أولا . الإطار المرجعي و النظري للتفكير البلاغي الجديد

تمثل البلاغة محورا هاما ارتكزت عليه دراسات الأدب و نقده، فهي في جوهرها تنطلق من إعادة قراءة للموروث السيميائي، حيث يكون الناقد في عملية الجمع بين المبادئ والأسس التراثية و صيغتها التجديدية بهدف الوصول إلى تطوير آليات التفكير البلاغي تنسجم بشكل مباشر مع الدراسات النقدية الحديثة.

1. الموروث البلاغي في السيميائيات

مما لا شك أن البلاغة شكلت محور التقاء العديد من العلوم، و لعل ما يلفت انتباهنا هي علاقتها بالمناهج النسقية التي أعلت من شأن اللغة و شبكتها الداخلية، ولقد شهدت البلاغة العربية تطورات هائلة على يد مؤصليها ، من أمثال :عبد القاهر الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة"، الجاحظ "البيان و التبيين "حازم القرطاجني "منهاج البلغاء و سراج الأدباء "، و غيرهم الكثير. قد حاولوا مناقشة عدة مفاهيم تخص قضية اللفظ و المعنى، التي لم تندثر و شهدت لها حضور قوي في العصر الحديث و إن كان بصيغة مغايرة، فمعنى المعنى يمثل جزء مهم من الدرس البلاغي و باعتبار أن السيميائيات تحاول فهم المعنى و تقصيه عبر استعانتها بصور البلاغية ، في محاولة منها أن تدرس اللغة في رحاب الحياة الاجتماعية، فكانت العرب قديما تراعى بيئة الشاعر التي هي منبع قريحته و ألفاظه مستعملا مخياله بتوظيفه الاستعارة و التشبيه و غيرها من المكونات البلاغة في حللتها التراثية .

يعرف "عبد القاهر الجرجاني " الاستعارة بقوله : "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم كالعارية(الإعارة)"¹

ذلك أن عبد القاهر الجرجاني ينطلق من تصويره للمعنى الذي تجسده آلية الاستعارة التي تخرج اللفظ من المألوف نحو أفق جمالية مزخرفة بالخيال. تكتسي الاستعارة مكانة هامة في حقل دراسات "غريماس " بل كانت الرابط الوثيق بين علم الدلائل و البلاغة، و يورد في هذا السياق: "إن بورس يعود لكي يميز ضمن الأيقونة بين ثلاثة أنواع من الدلائل . الأول هو الصورة و هو عبارة عن رسم فوتوغرافي للشيء يحتفظ بعناصر الشيء وعلاقتها و أبعادها . الثاني هو الرسم الذي لا يحتفظ من الشيء المرسوم إلا العلاقات بين عناصره المكونة مع إغفال صفاته... الثالث هو الاستعارة "². أي أن الاستعارة تعد

ركيزة من ركائز بناء العلامة المهيمنة في الخطاب. انطلاقاً من جهود رائد اللسانيات فريدريش دي سوسير F. Saussure الذي قادته رؤياه إلى تأطير عدة ثنائيات بإحداثه ثورة منهجية لغوية. فالمنهج السيميائي باعتباره من المناهج النسقية، كانت له خصيصة في تجاوز المعنى السطحي للنص و محاولة الوصول لبؤرة معنى الكامن. من خلال تلك السمة البارزة أو العلامة، و التي جعلها شارل ساندرس بيرس عبر ثلاثية ذات منزع منطقي مكونة لها المؤول و الماثول و الموضوع.

أولى دي سوسير أهمية للسان و اعتبره نسقاً دالاً في مجال السيميولوجيا sèmiologie، التي وافقته فيه الناقدة الفرنسية جوليا كريستيفا في دراستها الموسومة ب: "علم النص" تؤكد كريستيفا أن اللسان هو نسق خاص من ضمن الأنساق السيميولوجية، بمعنى آخر فإن السيميائيات هي الأصل واللسانيات هي فرع³ ذلك أن اشتغال حقل السيميائيات انطلق من استفادته المباشرة من علم اللغة الحديث واعتبار أن اللسان نسق دال.

و تجدر الإشارة أن مقاربات الحقل السيميائي تنهض على المنتج البلاغي، بجلته الجديدة بغية استكناه عناصر الداخلية للنص و معرفة قوانينه، و حيثياته. إن البلاغة و كنوزها التراثية جعلتها في مقدمة اتصالها بشتى العلوم، فإذا كانت البلاغة التقليدية وقفت عند حدود الإمتاع و الإقناع، سرعان ما التف حولها الجمود و السكون، فإن البلاغة وفق المنظور الجديد تتجاوز كل تلك التصنيفات القديمة لا بإحداث قطيعة معها بل بالنهوض و الاستناد على النموذج الكلاسيكي، و هو ما يتداخل مع طرح " الدكتور بسام قطوس " في كتابه " دليل النظرية المعاصرة - مناهج و تيارات - الذي آمن بنشوء نظرية على أنقاض نظرية أخرى .

و إن الانتقال الذي شهدته البلاغة، ما هو إلا ضرورة حتمية فرضها واقع الحداثة وما بعدها التي ولدت مناهج تحليل الخطاب بآليات جديدة، تغرف من معين البلاغة

وتستند لها، و استطاعت البلاغة أن تمد لنفسها اكسير الشباب بعد أن كانت على مشارف الشيخوخة . هذا ما نلتمسه في مفاهيم السيميائيات بتوظيفها البلاغة، فالتصور الذهني المتخيل عبر الاستعارات و التشبيهات قد دخل حيز خدمة العلامة وأصبح نافذة من نوافذ الكشف عن المعنى المضمّر العميق " شكلت نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني نقطة تحول جوهريّة في مسار البلاغة العربيّة ⁴ . مما يدل على تجاوز القلب البلاغي القديم نحو أفق تتجاوز الجمود و المعيارية، فقد أصبح الدرس البلاغي كائن زئبقي يخدم خاصية تحليل الخطاب وتقصيه. قد مثل التراث البلاغي الكلاسيكي منذ قرون الحلقة الهامة للتفكير النقدي العربي، قبل أن تجدد المقاربات الحديثة مثل السيميائيات في طريقة تلقي النصوص و فهمها، و هذا ما ألهم العديد من الباحثين والنقاد لتسخير أقلامهم لرفع ناصية الحديث عن البلاغة و منظورها الجديد ، و لعل أبرزهم الناقد عبد المالك مرتاض.

2. عبد المالك مرتاض و مساره النقدي

يعتبر الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض(1935/2023) من أهم نقاد ساحة الأدب و نقده، اسمه الكامل عبد المالك مرتاض بن عبد القادر بن أحمد بن أبي بن محمد بن أبي طالب، ولد في 10 أكتوبر 1935، ولاية تلمسان الجزائر لقد كانت بدايته التي صقلت تجربته مع حفظ القرآن الكريم و تعلم مبادئ الفقه والنحو، ليلتحق بعدها بمعهد ابن باديس في قسنطينة بالجزائر، و بعد ظروف الثورة الجزائرية اضطر للانتقال إلى المغرب و التحق بجامعة القروين في فاس في أكتوبر 1955.

ليتابع بعد ذلك دراسته في جامعة الرباط ، حيث درس في كلية الآداب، و كلية الحقوق و العلوم السياسية ومعهد العلوم الاجتماعية ، نال الدكتوراه الطور الثالث في الأدب " من جامعة الجزائر عام 1970 ، ثم حصل بعد ذلك على دكتوراه الدولة بمرتبة الشرف من جامعة السوربون في باريس عام 1983 و هذه أهم مساراته في التعليم

والمسار الأكاديمي . تقلد عبد المالك مرتاض عدة مناصب مهمة بدأها بعمله مدرسا في التعليم الثانوي بالجزائر بعد الاستقلال ، وهي فترة مهمة احتاجت فيها الجزائر لقامات تقود ناصية العلم و تكسب المجتمع الجزائري علاقته باللغة العربية و آدابها .

كما أنه انتقل للتدريس بالجامعة، فقد عمل أستاذا بجامعة وهران، واختص بالدراسات الأدبية والنقدية. واللغوية ودرس العديد من المقاييس التي تفرعت من ميادين الأدب ونقده ، ما زاد إلهامه في خدمة اللغة العربية لاسيما ترأسه منصب مدير الثقافة والإعلام لولاية وهران (1986/1983) كما عين رئيسا للمجلس الأعلى للغة العربية مما وثق علاقته بلغة الضاد و زاد من ثرائه المعرفي و إنتاجه في سبيل هذه اللغة العريقة بتاريخها .

و كانت له تجربة فريدة من نوعها خاصة بالمسابقات ، بحيث كان ضمن أعضاء لجنة التحكيم لمسابقة "أمير الشعراء" و التي مثلت ممارسة فعلية لأدوات النقد وتمحيص الأعمال التي قدمت في المسابقة.

و من خلال هذا يمكننا القول ، بأن كل هذه المحطات الأكاديمية والمعرفية نحتت تجربة نقدية خالصة، تركت لمستها في الجزائر بصفة خاصة والوطن العربي بصفة عامة، فلم يقتصر تأثير عبد المالك مرتاض وطنيا فحسب، بل كان له تأثيرات فكرية في أوساط الساحة العربية ، عبر إنتاجاته التي تنوعت بين الجانب التنظيري و الجانب التطبيقي التي كانت لها علاقة مباشرة بإثراء الدراسات اللغوية والنقدية.

من أهم إنتاجاته التي غزت الساحة الأدبية و النقدية نجد :

. القصة في الأدب العربي القديم 1968

. فن المقامات في الأدب العربي 1980

. الجدل الثقافي بين المغرب و المشرق 1982

. النص الأدبي من أين و إلى أين ؟ 1983

. الميثولوجيا عند العرب 1989

. السبع المعلقات ، اتحاد الكتاب و الأدباء العرب دمشق، 1999

. الإسلام و القضايا المعاصرة 2003

. قضايا الشعرىات 2007

. نظرية النص الأدبي 2010

. نظرية البلاغة 2010⁵

ثانيا: تجليات التفكير البلاغي الجديد عند عبد المالك مرتاض

و تقتضي الدراسة النقدية التحليلية ،إظهار تجليات التفكير البلاغي الجديد عند عبد المالك مرتاض، استناداً على تحليل الأسس النظرية و التطبيقية التي ساهمت في بلورة وعي الناقد وتفكيره البلاغي بحيث مزج بين أصالة البحث العربي و الروافد الغربية .

1. الأسس النظرية للتفكير البلاغي عند عبد المالك مرتاض

يعد الناقد عبد المالك مرتاض من أبرز النقاد ،الذين لمعوا في مجال الأدب ونقده بحيث قادته رؤياه النقدية ممتزجة بالثقافة التراثية و الغربية، إلى تحليل القضايا والخوض في منازعها فقد كان منظوره نحو البلاغة منظور ذو طابع متجدد اكتسح الساحة النقدية،فالبلاغة بجلتها التراثية ساهمت في تشكيل وعي جديد. فقد اهتم عبد المالك مرتاض بالنص، وناقش مفهومه باعتباره كيان لا يمتاز بالثبات وإنما صبغة التجدد هي من تضمن بريقه. و قد استعان بعدة مرجعيات بلورت تفكيره الجديد بدءاً من الخطاب القرآني و الشعر العربي باعتباره ديوان العرب و كذلك دراسته بجامعة صاريون الفرنسية . إذ شكل عبد المالك مرتاض منحى هاماً بدراسته لمختلف الأجناس الأدبية التي تعتبر باكورة امتزاج مكوناته الثقافية و وعيه النقدي.

سعى الناقد عبد المالك مرتاض إلى استحضار التراث العربي في أعماله النقدية، كونه يدرك أن في تراثنا العربي كنوز تطورت لتشكّل أهم نظريات و مفاهيم العصر الحديث، إذ

يشيد بمجهودات العرب باهتمامهم بالبلاغة ، انطلاقا من المفهوم، إذ لم تخرج البلاغة عنده مما تصوره القدماء بأنها "ضربا من الفصاحة"⁶ و هي إشارة واضحة على منظور العرب الكلاسيكي اتجاه المتكلم و شروط خطابه الذي يتغي من وراءه إذعان النفس وإقناعها عن طريق زخرفة الكلمات و الأسلوب مستعينا بأدوات البلاغة.و من ملاحظ أن عبد المالك مرتاض يلتقي مع الناقد محمد مندور فكلاهما يسعيان إلى التغني بالتراث العربي لفهم قضايا العصر الحديث، بل أن الدراسة تكون صحيحة انطلاقا من ربطها بمنطلقها العربي لا بإحداث قطيعة إبستمولوجية "صياغة المصطلح تكون وفق خصائص اللغة وما تقتضيه"⁷.

و يراعي عبد المالك مرتاض الأهمية القصوى لمؤلفات العرب أمثال : عبد القاهر الجرجاني، الجاحظ، السكاكي، البقلاني و غيرهم، إذ يقول : "...بيد أن العرب لم يشتغلوا بتنظيرات أرسطو المعقدة عليهم،و البعيدة من تقاليد خطابهم ، و مكونات بياهم، فجاءوا إلى طبيعة أدبهم فصنفوا بلغاء، و ثم البلاغة ، في ضوء النصوص العربية ذات طبيعة البلاغية الحميمة، و خصوصا انطلاقا من نص القرآن الكريم"⁸ لقد اشتغل العرب قديما بما يتناسب و بيئتهم ، مما جعلهم ينتجون نظريات لغوية مثل :نظرية النظم، و هذا راجع لتأثرهم بجمالية و عمق النص القرآني، مما جعل جل النظريات تنهض على التراث و ما يزخر به. لقد مثلت قضية اللفظ و المعنى رأس القضايا عند العرب ، بل كانت النواة الأولى للإحاطة بعناصر البلاغة "لقد جعلوا من مشكلة اللفظ للمعنى معيارا نقديا صالحا لقياس جودة شعر الشاعر و رداءته فعاابوا على المتنبي إهداره لحلاوة اللفظ وبهاء الطبع من أجل الإحاطة بالمعنى"⁹ بل لابد من إحداث التوازن بينهما .

لقد كانت البلاغة التقليدية في حيز ضيق بعدما انحسرت في الزخرفة اللفظية دون الصلة بأساسيات تحليل الخطاب، إذ يؤكد عبد المالك مرتاض "أن البلاغة التقليدية هي نفسها تلهث وراء وصف التشبيهات و الاستعارات، دون الانزلاق إلى تحليل الخطاب

الذي استحدثه النقاد الحداثيون ،فذهبوا في ذلك إلى أبعد المذاهب "10. و نجد في رأي آخر تقول د. آمي بلعلی : "منذ أن أعيد اللقاء بين الفلسفة والبلاغة من خلال ما سمي البلاغة الجديدة، تم التفتن إلى البعد العلائقي الذي تقيمه اللغة مع الفلسفة والعلوم الأخرى بواسطة البلاغة، و تم فهمها على أساس أنها عقلانية لها آداءاتها المنتظمة داخل اللغة الطبيعية التي تمتلك منطقها الداخلي و سلوكها "11 و من هنا نلاحظ تداخل وتوافق الآراء بين النقاد فقد اتفقوا على تجديدية البلاغة و التحامها مع العلوم و على رأسهم الفلسفة فإن عبد المالك مرتاض يؤكد على ربط البلاغة برحاب الفلسفة لفتح أطر جديدة تواكب من خلالها آليات تحليل الخطاب الحديثة .

إن الانتقال الذي شهدته البلاغة نحو النموذج البلاغي الجديد كان ضرورة حتمية ، فقد كانت مجهودات "شاييم بيرلمان " و "البيرت تيتيكا جديدة بالذكر من خلال عملهما المشترك الذي عنون ب "مصنف في الحجاج . الخطابة الجديدة" عام1958و قد تمكنا من "إخراج الحجاج الذي هو عند المؤلفين سليل الخطابة والجدل معا ،من دائرة الخطابة والجدل الذي ظل لفترات طويلة في القديم مرادفا للمنطق نفسه"12 و بهذا المنطلق أصبح الحجاج آلية مهمة في التفكير البلاغي الجديد متخلصا من التصورات القديمة التي كان عليها و إن ازدهرت في العصر الحديث لقد كان الجاحظ سباقا في الحديث عنها في كتابه " البيان والتبيين "

فمنذ ازدهار بلاغة أرسطو و البلاغة العربية كدنا لنجزم أن الدرس البلاغي قد وصل إلى ذروة نضجه، سرعان ما اصطدم بواقع من الجمود والمعيارية، و هذا ما استدكره الفكر الحديث. عالج عبد المالك مرتاض الدرس البلاغي من منطلق أنه خرج من الثوب الكلاسيكي لاقتحام النص عبر آليات تحليل الخطاب، تفتح للمعنى تعدديات مختلفة. "إن التطور الحاصل في المناهج النقدية لا يعني بأي حال من الأحوال . حسب مرتاض

دائماً. السير وفق ما يمليه النقد الغربي، و إنما السير على منواله مع احترام لخصوصية البيئة العربية"¹³ ما يؤكد الحرص الشديد على الضرورة الانطلاق من التراث.

إنَّ الرؤى العميقة التي امتلكها عبد المالك مرتاض، جعلته يناقش التراث بنظرة تفحصية استدرك من خلالها مزالق و هفوات التي وقع فيها رواد البلاغة العربية، إذ افتقرت دراساتهم على وجود نظرية محكمة تلمم الأفكار القيمة المتناثرة بين دارس و آخر، يعاب على عبد القاهر الجرجاني وفق . عبد المالك مرتاض . عدم تحليله بشكل تام للنص القرآني على رغم من أن القرآن يعتبر مصدر مهم ، خصوصا في قضية الإعجاز التي تميز بها .

ولقد كان عبد المالك مرتاض مدركا تماما بضرورة مناقشة حيثيات التراث باعتباره يؤمن بأن الساحة الأدب و نقده تتغير باستمرار، فبعدها كانت الصورة الشعرية كامنة في إغراقها بالزخرفة اللفظية أضحت في الفكر الجديد حلقة مهمة لفهم النص ومعناه ، وهذا ما ساعد مرتاض في الانتقال بإرثه الكلاسيكي إلى منظور جديد، فالبلاغة المرتاضية لا تحصر في علم البيان و إنما تتوجه نحو تعرية النص و كشف بنيته العميقة، فالمعنى لا ينكشف و إنما يترك للقارئ لاستنباطه ، فالقارئ يشارك في بناء النص و من هنا تتجلى آلية الإضمار فحسب مرتاض فإن الخطاب يضم معناه و يفهم وفق السياق مما يخرج عن نطاق النبوية،" و النص حيز ممتد فضاء بعيد الامتداد؛ مفتوح الدلالة على ما لانهائية له من المعان و هو ثمرة عطاء اللغة . و هو ثمرة فعالية اللغة الجميلة في لعبتها السحرية الأدبية "¹⁴ و إنما أساس المعنى ينسج انطلاقا من العلاقة التي تقام عن طريق القراءة المتعددة و قوة النص في معانيه المضمرة .

فلكل قراءة خصوصية تمتاز بها و أن القراءة السيميائية تختلف عن نظيرتها من القراءات الأخرى ، فالسيميائيات تتداخل و البلاغة، بل إن التراث العربي القديم يعتبر أصل النظريات و المفاهيم التي تطورت في العصر الحديث، و هذا ما أشار اليه عبد الملك مرتاض إذ يقول : أن" السيميائيون العرب حين يلوكون اليوم بألستهم بعض

المفاهيم الفرعية المكونة لبعض هذه العلوم ، و عليهم أن يعودوا إلى أصول بعض هذه المفاهيم لينظروا من أين جاءت ؟ "15 أي دراستها دراسة معمقة تربط الحاضر بأفق الماضي .

و قد تتداخل البلاغة مع السيميائيات، بل أن التراث العربي يعتبر أصل النظريات والمفاهيم التي تطورت في العصر الحديث و هذا ما أكدده عبد المالك مرتاض من خلال ذلك التشكيل الجديد الذي يمتزج فيه الموروث مع الحداثة،فالبلاغة اكتسبت صيغة ملائمة للتطورات لا سيما أنها علم يقف موقف مساعد للمناهج النسقية التي تحاول فهم اللغة، حتى أنها قراءة جديدة تستحدث أفق تلقي النص عبر توسيع نطاق اللغة ليشمل البحث عن الدلالة .

لعلنا لا نشتط في القول إنّ عبد المالك مرتاض ينطلق من خلفية اعتبار النص ملغما بالسنن والشفرات إذ لا بد له من تأويل دلالاته و البحث في مكوناته ، فالبلاغة عنده لم تعد تمتلك ذلك البعد الجمالي فحسب و إنما أصبحت ضمن تمثلات الملفوظات وعلاقتها بسياق التداول، و أضحي المكون البلاغي يتجلى انطلاقا من آلية الإضمار والحذف، و بهذا فالبلاغة قد تحررت من حصرها في الحدود الجمالية إلى ربطها بالبعد السيميائي و التأويلي، كما أن البلاغة الجديدة لا يمكن أن تنفصل عن هذه المجالات، فمرتاض يعتمد أساسا على تلك الصلة التي اقترنت بعلم العلامات و الدرس البلاغي لما لهم من تداخل فيما بينهما فهو يعتمد في قراءاته على "الدال" و "المدلول" ويعكسه على النص كنوع من الاستجابة لمدى فهمه العميق للغة داخل الخطاب . و هذا ما أدى إلى إدخال الاستعارة و المجاز الإضمار وضمن نطاق اشتغال العلامة بعيدا عن التصور القديم

2. تمثلات التفكير البلاغي الجديد في النماذج التحليلية لعبد المالك مرتاض

لم يكتف عبد المالك مرتاض من تقصيه للجانب النظري و إنّ ما وعيه النقدي بهذا الجانب قاده لتحليل العديد النماذج الإبداعية بأجناسها المختلفة، فبعد تأثره بالتراث راح

يتفحص بنظرة تأملية إنجازات الثقافة الغربية، مما شكل له تفكيراً جديداً يعتمد فيه على مواكبة الكيفية التي يحلل بها النص دون نسيان الإرث المعرفي العربي. فأساس تفكيره البلاغي الجديد ينطلق من معادلة فيها السياق و النص و القارئ كعملية تستجيب لصبغة تحليل النص المعاصر في ظل إفرازات بيئة الغرب الحديثة و ما بعدها. تظهر البنيوية كأحد منتجات الحداثة التي أغرت الباحثين للتعرف إليها تنظيرياً ثم الولوج لساحة التطبيق و هذا ما نلمسه عند عبد المالك مرتاض الذي لا نجد عنده استقراراً وثباتاً في منهج واحد و لا مصطلح واحد فهو لا يثبت على قضية ولا على آلية منهج واحد لأن الثبات يمثل أولى خطوات تلاشي فكر أي ناقد و لأن ساحة الأدب و نقده لا تعترف بالسكون و الجمود ، هذا ما فهمه عبد المالك مرتاض و خاصة أنه لم يبق أسيراً للمنهج البنيوي فتارة يزواج بينه و بين المناهج الأخرى؛ الأسلوبية ، السيميائية وتارة يطبق منهجاً واحداً في النص على حسب خصوصية النص الذي أمامه. فمنطلق دراسته الجديدة تعتمد :

السياق > النص و لغته < القارئ

و على هذا الأساس يرى عبد المالك مرتاض أن دراسة أي عمل أدبي من رحاب السياق و اللغة، ففي دراسته التي عنوانها ب"السبع المعلقات تحليل أنثروبولوجي / سيميائي لشعرية نصوصها " درس الشعر الجاهلي مع مدى تأثير البيئة في نسجه، فقد كانت دراسته مزيجاً متنوعاً يجمع بين اللغة كأداة للإفصاح عن المكونات النفسية و تأثير الزمكان ، فاللغة عند عبد المالك مرتاض "حين تذكر يذكر معها اللفظ ، و يذكر معها المعنى ، و يذكر معها الإرسال و الاستقبال و ما بينهما"¹⁶. فاللغة تكتسب رونقها من خلال التحامها بالمعنى ، بهدف إنشاء نص موجه للقارئ ما يعني أن اللغة توسعت بفضل انتقالها للاستعمال و الممارسة تعددية المعنى الكامن .

ونلمس عند عبد المالك مرتاض في تحليلاته أنه يعتمد على تلك العلاقة الموجودة بين منجزات العرب قديما و إنتاجات الغرب ،فلا نجده قد تحدث عن مصطلح إلا وأشاد بمنبته الأولي، إذ حاول استنطاق قصائد الشعر الجاهلي . المعلقات السبع . بدءا بقصيدة امرئ القيس، إذ بحث في حيثياتها وحاول أن يقدم لنا شريحة من تجربة جيل العصر الجاهلي انطلاقا من نمط معيشتهم . فهو منبهر من هذا المنجز الثري، و هذا ما يتجلى في قوله: " إن كل من يبحث في أمر الشعر الجاهلي قد يصاب بالحيرة و الذهول و هو يقرأ هذه الأشعار الراقية "¹⁷. فقد كانت القصيدة الجاهلية يحتذى بها عبر ما امتلكته من عناصر تركيبية و حمولة وجدانية استطاعت على أن تحافظ على كيانها ومكانها رغم مرور الزمن .فبنية المقدمة الطللية سمة بارزة يبتدأ بها الشاعر قصيدته و هذا ما أثار عبد المالك مرتاض الذي وضح أن تلك المقدمات هي بمثابة التعبير عن التنقلات ونمط العيش في البيئة العربية التي لا تعرف الثبات في مكان واحد . فكانت أبرز السمات التي تحدث عنها الشاعر آنذاك : "الطلل + المرأة + الفرس ،الطلل + المرأة + البعير ،الطلل + المرأة + الماء، الطلل + المرأة + الفخر."¹⁸ تعكس هذه المواضيع السمات التي اعتمدت في النص التراثي، فكانت المرأة لها حضورها القوي ، كما كانت الحرب لها وقعها من الأشعار كنوع من السلاح بالقلم، كما كان للماء في ذلك باعتباره ضرورة للحياة العربي و انعدامه كان بمثابة أولى خطوات الأفول .

و يذكر عبد المالك مرتاض في تحليلاته مجموعة من البنى تتحرك ضمن نظام الخطاب، تفتح المجال على حضور المكان في الشعرية: سقط اللوى، الدخول ... تحدث هذه العناصر وقعا مهما و دورا ضمن فضاء النص. و مما أشار اليه عبد المالك مرتاض كذلك مدى توافق هذه النصوص مع تحليلها أنثروبولوجيا بحيث تكون الدراسة عبارة عن مسح للتجربة الشعرية لأي عصر من العصور و التعمق في جزئيات التي تصنع المواضيع وتنسج منها اللغة ، لكي يحدث ذلك الامتزاج بين النسيج الداخلي والخارجي إن اقضى

استخدام أي آلية من آليات المناهج تفرضها خصوصية النص ، و هذا ما تنبه إليه عبد المالك مرتاض فتارة يغلق النص رافعا راية مشروع الحداثة "البنوية " و تارة أخرى يفتح الرؤى على تطبيق المناهج الأخرى .

إنّ إضاءة أي نص و اكتشاف حواشيه يفتح المجال نحو لا نهائية المعنى و الدلالة فبعدما كان التركيز على البعد الجمالي ، فإن عبد المالك مرتاض يرفض أن تقتصر تحليلاته على الوقوف عند نسق واحد و طريقة واحدة بل لا ينفك أن يتبنى كل ما هو جديد مع مراعاة ملائمة آليات تحليل المناهج و البيئة التي نشأت فيها . و لم يقتصر منهجه على تحليل جنس دون الآخر، بل قاده فكره المجدد المحافظ في الوقت نفسه أن يهتم بأجناس أدبية مختلفة ، ففي مناقشته النص الروائي حاول عبد المالك مرتاض أن يطبق تقنيات السرد و التجربة التي استقاها من الثقافة الغربية ، متأثرا بذلك بالمدرسة الأمريكية . النقد الجديد . حيث تحدث عن ذبوع الرواية الجديدة التي ظهرت في بيئة مضطربة مما ساهم في ظهور الرواية الحربية التي تضمنت مواضيع الحروب العالمية آنذاك وبحيث سردت حكايات الأزمات التي مر بها العالم جراء تعرضه للكوارث "قنبلة هيروشيما " فكانت تشهد اضطرابا على مستوى الشخصية الرئيسية و تحركاتها ضمن الفضاء السردى بمساعدة الشخصيات كما سماها عبد المالك مرتاض "الشخصيات الدوارة " و كأن هذه الأخيرة لا تنفصل عن الشخصية الرئيسية بل تساعد في التموقع ضمن الحدث السردى .

و إن كانت الرواية لها أصول تبلورت من خلالها حتى وصلت إلينا في شكلها الحديث ، يؤكد عبد المالك مرتاض في هذا الصدد قائلا : "إذا كانت الرواية سردا خالصا فإن هذا السرد إنما يقوم على حكاية خيالية قحة، و الحق أن الرواية ليست قبل كل شيء إلا جنسا كان قائما من قبل و كان متمثلا في الملحمة والشعر الغنائي و الأدب الشفوي ذي الطبيعة السردية"¹⁹ و لهذا فإن الرواية قد تشكلت عبر رده من الزمن ويخصص عبد

المالك مرتاض حيزا هاما للحديث عن الروايات الجزائرية من بينها رواية "حيزية" و غيرها من الروايات التي لمعت في الساحة العربية .

كما جسد عبد المالك مرتاض من خلال كتابه "نظرية الرواية" نظرة شاملة حول النظريات التي قامت عليها الرواية الجديدة خصوصا، و أن العصر الحديث شهد إفرازات حديثة، هذا ما غذى باكورة ثقافته، مستعينا في الوقت ذاته بربط مجريات الرواية لما عرفه العرب قديما مثل: المقامة. فالرواية الجديدة ما إلا ظهور جديد يخرج عن نمطية التقليدية "أهم ما تتميز به الرواية الجديدة عن التقليدية، أنها تثور على كل القواعد، وتتكر لكل الأصول، و ترفض كل القيم و الجماليات التي كانت سائدة في الرواية التقليدية" ²⁰.

فقد خرجت الرواية من شكل المؤلف الذي عرف في الفكر التقليدي فقد شملت تغييرا من كل نواحيها سواء الشخصيات أو الأحداث مستجيبة للعصر الجديد الذي سارع الروائيون إلى تجسيده فيه و الاعتماد على أسس و تقنيات سردية فالشخصية قد خرجت من المعيار التقليدي إلى شخصية جديدة و هذا ذكره عبد الملك مرتاض سواء في الكتابات العربية على رأسها عز الدين اسماعيل، أو في الكتابات الغربية من مثل: كافكا و روايته "القصر"، دوستوفسكي " إذ كانت هذه الكتابات بمثابة تعبير عن وجود في الظل الأوضاع التي يعانها العالم، فالرواية عالم يسرد الروائي في طيات صفحاتها معبرا عن جودة الحكمة و السرد، و من منظور عبد المالك مرتاض لا يملك أن نتحدث عن الرواية و نعوص في أعماقها و تفكيك ثناياها دون اللجوء إلى المدارس الغربية من مثل: المدرسة الأمريكية التي استحدثت تقنيات السرد مما جعل الروائيون يخرجون شيئا فشيئا عن الذاتية مسخرين أقلامهم لسرد أوضاع أمريكا في تلك الحبكة .

كل هذه التراكمات المعرفية السردية ساعدت عبد المالك مرتاض في اقتحام النص السردى وتفكيك بنيته ففي تحليلاته السردية حاول الاهتمام بالسرديات الجزائرية كأعمال

رضا حوحو "غادة أم القرى"، أبي قاسم سعد الله، كنوع من إثبات للأعمال الإبداعية التي ظهرت و بدأت تنفتح على الأجناس الأدبية. فالفن القصصي ظهر في الجزائر في بيئة مضطربة جراء الاستعمار الفرنسي، و هذا ما انعكس في مضمون القصة و حيزها، ينطلق عبد المالك مرتاض نماذج جزائرية صنعت اسمها، من أمثال لابن هدوقة و قصصه الأشعة السبعة، القرار للحبيب السائح، الصعود نحو الأسفل، مصطفى الفاسي وقصته الأضواء و الفئران و غيرها و لم تخرج هذه القصص عن المحكي الجزائري بل ناقشها عبد الملك مرتاض من زوايا سياقية، تعلي من شأن السياق و تستحضر العوامل الاجتماعية و الاقتصادية للواقع الجزائري.

و يقول الدكتور " يوسف وغليسي " في خضم مناقشته لفكر عبد المالك مرتاض "فالبنيوية التي نزع اليوم أنها تقليعة حديثة نادرة، أضحت من المناهج التقليدية في عرف النظريات (ما بعد البنيوية)، و هكذا فكل قديم كان حديثا في عهده، كما قال الأقدمون، و كل قديم سيؤول إلى قديم"²¹. و هذا ما استوعبه عبد المالك مرتاض فلا نجد له استقرار على منهج واحد، فبعد تعمقه في المناهج السياقية، انتقل لاحتضان المناهج النسقية سرعان ما ينفك عن قيد النسق لاهتمام باللغة و مجالها الاجتماعي الذي لا ينفصل عن السياق. ما توصل إليه ناقدنا الفذ هو استحالة وجود منهج متكامل موحد لتحليل النصوص، وإنّ ما يجب إدراكها أن لكل المناهج خصوصيتها و عيوبها، مع مراعاة خصوصية النص و بيئته التي نشأ فيها بالدرجة الأولى، لذا نجد أن عبد المالك مرتاض لا يترك فرصة إلا و الإشادة بالنص التراثي وأصالته عبر العصور متمسكا بالمنهج التكاملي الذي يغرف من المعين كل المناهج.

و صفوة القول إن تجربة عبد المالك مرتاض، توحى لنا مدى اتساع رقعة القضايا التي عرفتها ساحتنا العربية بتراثها العريق، فقد مارس آليات المناهج سواء السياقية أو النسقية وفق ما أفرزته فترة الحداثة و ما بعدها و اهتم بحواشي النص و متنه؛ السياق، مروراً بـ

النص، و القارئ الذي هو بمثابة مستقبل للرسالة وفق ما تملّيه نظرية القراءة. تكمن الفكرة الجوهرية عند عبد الملك مرتاض بضرورة قراءة التراث على ضوء العصر الحديث مع الانفتاح على الساحة الغربية.

الخاتمة: النتائج و التوصيات

النتائج:

ختاما ، و حتى نغلق دائرة هذا البحث . و لو إلى حين . ها هي أهم النتائج المتوصل إليها و التي نوردّها كالآتي :

. نظر حقل السيميائيات للبلاغة الجديدة نظرة مساعد ، فتداخل المجالين جعل من الاستعارة من مكونات البحث عن العلامة ، فالاستعارة عند غريماش مقرونة بالأيقونة. ظهرت بوادر التفكير الجديد من خلفية معرفية ، تستند على المرور العربي ذلك أن ساحة الأدب و نقده تنهض بالأساس على هذه التراكمات الإستيمولوجية التي تشكلت ردحا من الزمن .

وامتلك عبد المالك مرتاض وعيا نقديا استطاع أن يغزو به الساحة العربية على نطاق واسع ، فتأثره بالثقافة الغربية لم يمنعه من العودة لأصالته العربية ، و لم يعارض العودة للمناصب الأولى إزاء القضايا والمفاهيم النقدية ، بل غرف من معين الثقافة العربية و الغربية ليقدم لنا خلاصة تجربة تنهض على الجديد و لا تنكر القديم .

يرفض عبد المالك مرتاض أن تقتصر البلاغة على الجانب الجمالي ، فهي بالنسبة له وسيلة من وسائل استنطاق المعنى المضمّر في الخطاب فهو يدعو للانفتاح على المقاربات السيميائية و التداولية وغيرها ممن أنتجت في العصر الحديث و المعاصر .

اتسم منهج عبد الملك مرتاض بالتعددية ، فلم يبق حبيس السياق أو النسق ، بل شملت دراسته مختلف المناهج النقدية، مع الاهتمام بالجانب التطبيقي محاولا بذلك تجسيد آليات هذه المناهج.

يظهر اهتمام الناقد جليا بالتراث العربي ، فقد تأثر بما أنتجته الساحة العربية ، بحيث سعا للإشادة إليه سواء من ناحية التنظير و التطبيق.

التوصيات :

. توظيف كنوز تراثنا العربي في فهم القضايا المعاصرة مع مراعاة خصوصية بيئتنا في تحليل النصوص.

. المساهمة الفعلية في تعزيز دور البحث العلمي في مناقشته لقضايا البلاغة و علاقتها بالعصر الراهن .

. إعادة الاعتبار للناقد العربي و إنجازاته التي تعيد الروح للساحة العربية و تدفع الركود عنها و على رأسهم عبد المالك مرتاض .

. ضرورة الانفتاح حول الفكر البلاغي الجديد و الاستفادة من آليات تحليلية للنصوص عبر أشكائها

الهوامش:

1- لخداري سعد، الدرس البلاغي العربي بين السيميائيات و تحليل الخطاب ،منشورات الاختلاف ط2017،01،ص100

2- حسين خالفي ، البلاغة و تحليل الخطاب ، دار الفرائي ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 2011ص115 - نفسه،ص³45

4- ثائر محمد ابراهيم الملكاوي ، اللفظ والمعنى بين الانفصال و الاندماج : دراسة في الرؤية البلاغية في كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، مجلة قيس للدراسات الإنسانية و الاجتماعية ، المجلد 09،العدد02، ديسمبر 2025،ص1524

5- حمد سيف الإسلام بوفلافة. 21 نوفمبر , 2021 elhayatarabiya ، تاريخ الاطلاع 2025/09/17، <https://www.elhayatarabie.net>

6- عبد الملك مرتاض ، نظرية البلاغة ،دار القدس العربي ،وهران ، ط2010،02،ص18

7 - إسحاق سرداني ، عبد الحكيم سحالية ، التعدد المصطلحي في اللسانيات العربية " اللسانيات العرفانية أنموذجا" مجلة قيس للدراسات الانسانية و الاجتماعية ، المجلد 08،العدد01،جوان 2024،ص980

- 8- نفسه، ص25
- 9- عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري لدراسة في النظرية و التطبيق ،دار جرير ،الأردن، ط2009،01، ص29
- 10- عبد الملك مرتاض ، نظرية البلاغة ،ص44
- 11- آمنة بلعلي، العقل النقدي المعاصر . إمكانات الاختلاف و مشروعية الاستئناف ،دار الميم ، الجزائر، ط2023،01، ص29
- 12- عبدالله صولة ،في نظرية الحجاج لدراسات و تطبيقات ، دار الجنوب للنشر و التوزيع،تونس، ط2011،1، ص11
- 13- مولاي متقدم ،آليات التحليل النقدي عند عبد الملك مرتاض ، قراءة في كتاب :تحليل الخطاب السردى ، مجلة اللغة العربية و آدابها، المجلد الخامس ، العدد الأول ،ص130
- عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ،دار الهومو للنشر و التوزيع ، ط2010،02، ص05¹⁴
- عبد المالك مرتاض ، نظرية البلاغة ، ص142¹⁵
- عبد المالك مرتاض ، قضايا الشعرية، منشورات دار القدس العربي ، الجزائر ، ط2009،01، ص152¹⁶
- 17- عبد المالك مرتاض ،السبع المعلقات . تحليل أنثروبولوجي /سيمائي لشعرية نصوصها، دار البصائر ، د.ط ص05
- نفسه ،ص79¹⁸
- عبد المالك مرتاض ، الرواية جنسا أدبيا ، مجلة الأقلام ، العدد1، 11نوفمبر 2011، ص126¹⁹
- 20- عبد المالك مرتاض ، نظرية الرواية . بحث في تقنيات السرد ، سلسلة كتب الثقافية المجلس الوطني للثقافة و الفنون 1923.1990، ص48
- يوسف وغليسي ، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض ،إصدارات رابطة إبداع الثقافية ، د.ط، ص32²¹